

مدح الكاتب للصوفية، والجواب عن ذلك

الصوفية تعرض هذا الكاتب للمدح والإطراء في حق الصوفية، وكأنه أراد بذلك الرد على أئمة الدعوة في إنكارهم على أهل الطرق والأحوال، أو اعتقاد أنهم ينكرن على الصوفية وي مقنونهم، أو أراد بالثناء عليهم أن فيهم الأولياء والأصفياء الذين وصلوا إلى حضرة القدس، واتصلوا بالملا الأعلى فاستحقوا لذلك أن تتسل بهم وندعوهم من دون الله، كما يفعل المشركون مع الجيلاني والبدوي ونحوهما، ونحن نقول: إن الصوفية أصلا هم الزهاد في الدنيا والمشتغلون بالعبادة، وكانوا في الزمن الأول يرتدون الصوف الخشن من باب التقشف فعرفوا بهذا الاسم، كإبراهيم بن أدهم وبشر الحافي وإبراهيم الخواص والجنيد بن محمد ونحوهم، وكان أولئك يعبدون الله على علم وبصيرة؛ فيحافظون على الجماعات، ويبعدون عن المحرمات، ويسارعون في الخيرات، ولم يكن عندهم شيء من البدع ولا الخرافات. ثم جاء بعدهم من تسمى باسم الصوفية، وانحل مذهبها خاصا وأصبح الصوفية أهل خلة وطريقة مستقلة، وابتعدوا عن العلم والعلماء، واعتمدوا على الأذواق والمواجيد، فدخلت عليهم بدع وخرافات في المعتقد وفي العمل، كالسماع والرقض والتواجد وصحبة الأحداث، والزهد في المباحثات، وتأليم النفس ونحو ذلك، وقد ناقشها ورد عليهم فيها الشيخ ابن الجوزي في كتابه (تلبيس إيليس) وغيره. ثم جاء بعدهم من تسمى بالتصوف أيضا وغلا حتى تدخل في الربوبية، واعتقد أن الوجود واحد بالعين، وأنكر الفرق بين الخلق والخالق، وهم المسمون بالاتحاديين الحلوليين وأهل وحدة الوجود، وقولهم من أشنع الأقوال، كفرهم أوضح من كفر اليهود والنصارى، فمنهم من أفحى عما يكتبه، وأعلن معتقده كالحلاج فحكم بكفره أهل زمانه، وأفتوا بقتله فقط، ومنهم من يتستر ويخفى معتقده ولكنه يظهر للمتمعن والمتفطن في كلامه، أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ونحوهم. وهذا المعتقد الكفري قد تمكן وفيما القول به زمن شيخ الإسلام ابن تيمية فرد على أهله ضمن رسائل مطبوعة في المجلد الثاني من مجموع فتاوى شيخ الإسلام وله رسائل كثيرة في حقيقة التصوف والسلوك في المجلدين العاشر والحادي عشر. ومن هذا التقديم الموجز يعرف أنه لا يجوز إطلاق الذم ولا المدح للصوفية، بل يعطى كل منهم حكمه، أما الصوفية في هذا الزمان ومنهم من يعرفون بالتيجانية وغيرهم، فإنهم قد انتحلوا طرفا وصارت لهم مقامات وخصوصيات تصادم الأدلة؛ حيث يعتقدون في أوليائهم الأقدمية على الرسل الكرام ويزعمون أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، ويرجعون إلى أقوال مقدميهم، وبحكمونهم في الأنفس والأرواح والأموال ويعتقدون فيهم العصمة وملكية التصرف، ونحو ذلك من الاعتقادات السيئة مما داموا كذلك فهم مجانبون للصواب ومحادون لله ورسوله، فلا نعرف لهم فضلا ولا كرامة.